ظاهرة التركيب ومقاصدها التبليغية في الجملة الفرنسية

د. شابحة حمرون
قسم الترجمة – جامعة الجزائر 2

قبل الشروع في تناول ظاهرة التركيب في الجملة الفرنسية لتبيان ما يصاحبها من مقاصد تبليغية، يبدو لنا مهما لفت النظر إلى نوع من الجمل في الفرنسية قد يقع الخلط بينه وبين الجملة المركبة، وهو ما يسمى بالجملة الممتدة (La phrase étendue)، التي لا تخرج في الحقيقة عن دائرة الجملة البسيطة، لأنها تتكون من مركب إسنادي واحد تضاف إليه عناصر أخرى غير إسنادية تتعلق بأحد عنصري الجملة الأساسيين (كزمرة الاسم وزمرة الفعل)، ومادام الأمر كذلك، فإن كونها ممتدة ليس بالنظر إلى تعدد إسنادي فيها، إنما بالنظر إلى ما يضاف من عناصر تكميلية إلى مكونها الاسمي أو إلى مكونها الفعلي كما توضحه الجملتان التاليتان:

1- Une matinée sans chaleur annonçait un bon séjour.
2- Le travail a été fait pêle-mêle.

إذا تأملنا الجملتين فإننا نرى بوضوح أن كل واحدة منهما تتألف من مكونين أساسيين ومن عناصر مكملة تتعلق بزمرة الاسم أو بزمرة الفعل، وأن إسقاط هذه العناصر المكملة لا يلحق ضررا بالمعنى الأساسي في الجملة، فالمجموع الاسمي المكون من حرف الإضافة "sans" الذي يفيد دائما السلب والفقدان والحرمان وعدم الوجود، ومن الاسم "chaleur" الذي يدل في سياق الجملة (الجملة الأولى) على الشيء الغائب أو غير الموجود هو تمديد للاسم "matinée" الذي هو أحد عنصري الجملة الأساسيين. عبر عنه الفعل "annonçait"، معنى ذلك أن هذا التمديد ليس حشوا عديم الفائدة، لكن مع ذلك فإن الاستغناء عنه لا يحيلها إلى جملة غير نحوية (phrase agrammaticale) كما أن إبقاءه لا يخرج بها عن دائرة الجملة البسيطة. والظاهرة نفسها نلاحظها في الجملة الثانية، ففيها جاء ظرف الكيفية (l'adverbe de manière) "pêle-mêle" تمديدا لزمرة الفعل "a été fait" الذي يعتبر عنصرا أساسيا في الجملة، وبتمديده بوساطة الظرف تحددت كيفية إنجاز العمل بمعنى إن الظرف في هذه الحالة، أحدث ضربا من التعديل في معنى الفعل الذي تعلق به بأن أبان عن صورته[1]، ففرق من حيث الدلالة بين ما تؤديه الجملة في مثالنا وبين قولنا " le travail a été fait"، فما يفهم في هذه الحالة هو أن العمل قد أنجز، أما ما رافق الظرف "pêle-mêle" من تعديل في معنى الفعل من خلال تحديد كيفيته وإخراجه من إطلاقه فلا أثر له في الجملة وهي خالية من الظرف. سوى إن هذا التوسيع الذي حدث في الفعل بإلحاق الظرف به، لا ينقلنا هو الآخر خارج الجملة البسيطة، وإسقاطه. كما هو بين- وإن أثر في المعنى المستفاد من جملته، فإنه لايسلبها السلامة النحوية لتوافرها على ركنيها الأساسيين.

معنى ما تقدم أنه لا يعول على الطول والقصر ميزانا للتمييز بين ظاهرتي البساطة والتركيب في الجملة، لذلك نميل إلى تبني مفهوم J. Dubois و R. Lagane للجملة المركبة، فهي في تقديرهما "جملة مكونة من عدد من الجمل بسيطة أو ممتدة"[2]، وما يستشف من هذا التعريف هو أن الجملة المركبة يجب أن تعبر على حدثين على الأقل، على اعتبار أن الحد الأدنى للتركيب فيها هو وجود جملتين يتوافر بينهما ضرب من التعالق. وقولنا "ضرب من التعالق"، نعني به أن الجمل التي تتألف منها الجملة المركبة، لا يرتبط بعضها ببعض كيفما اتفق وأن هناك أكثر من نوع من أنواع الائتلاف التي تحدث بينها في سياق الجملة التي تحتضنها. واختيار نوع التعالق بين عناصر الجملة الكبرى أو الجملة الحاضنة تمليه ضرورات دلالية تبليغية، بمعنى إن العناصر (وهي جمل في هذه الحالة)، ترتبط فيما بينها بنويا ودلاليا لتحقيق أغراض تواصلية.

يقتضي تناول ظاهرة التركيب في الجملة الفرنسية أن نعتمد على طائفة من الأمثلة، نعاين من خلالها أضرب التعالق بين عناصرها للكشف عن الفوارق الدلالية الناجمة عن الاختلاف بين الجمل من جهة طبيعة الارتباط بين عناصرها والأدوات التي تحقق هذا الارتباط. والمجموعة الأولى من الأمثلة التي نقترحها في هذا المضمار هي:

1- La femme est contente, son fils a réussi son concours.
2- L'enfant dormait, il n'a rien entendu.
3- Je suis passionné par ce livre, toi il t'a ennuyé.
4- Le père laboure la terre, la maman ramasse les feuilles mortes, l'enfant court derrière les chèvres.

إن ما يلفت النظر في هذه الأمثلة أن كلا منها تألف من عدد من الجمل تراوح بين اثنتين في الثلاثة الأولى، وثلاثة في المثال الرابع، وتوجد بين كل جملتين فاصلة تحدد نهاية جملة وبداية جملة أخرى. وكل واحدة من هذه الجمل يمكنها-في الغالب- أن تستقل

بنفسها كما هي الحال في الأمثلة 1، 2، 4، أما في المثال الثالث فإن المتلقي يجد نفسه في حاجة ماسة إلى الجملة الأولى لفهم دلالة الجملة الثانية.

إن هذا النوع من التعالق بين الجمل التي تأتي في صعيد واحد لتكون جملة واحدة تبدأ (في الفرنسية) بحرف يكتب بالبنط العريض (la majuscule) يختلف عن الرسم العادي الذي يظهر به داخل الجملة، وتنتهي بنقطة، هو تعالق بالتجاور (juxtaposition). فليس هناك –في هذه الحالة– بين الجمل المكونة للجملة الكبرى أو الحاضنة أية أدوات رابطة غير الفواصل التي أشرنا إليها. وتشكل كل طائفة من الجمل المترابطة بهذه الكيفية جملة كبرى تصنف في الفرنسية فيما يسمى بالجملة المركبة حسب التعريف الوارد في النحو الفرنسي لهذا الصنف من الجمل3 . والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا المجال سيتعلق بطبيعة العلاقة الدلالية الرابطة بين العناصر المكونة لهذه الجمل المركبة، وهذه العناصر هي في الأصل جمل بسيطة (phrases simples).

إذا تأملنا الجملة المركبة في المثال الأول ألفيناها مكونة من جملتين بسيطتين مستقلتين، لا يتعلق المعنى الذي تؤديه إحداهما بمعنى مجاورتها، فيمكن التلفظ بأي منهما بمفردها فتؤدي الغرض المتوخى منها من دون أن يشعر المتلقي بخلل أو بنقص في المحتوى الدلالي المراد تبليغه إياه من خلالها، لذلك يمكن أن يُكْتَفَى بمخاطبته بإحداهما فقط، سوى إن هذا لا يعني أن المجيء بالجملتين في صعيد واحدٍ لتكوِّنا جملة واحدة لا يضيف جديدا إلى ما يستشف من الجملتين منفردتين، فهو بالإضافة إلى المضمون الإخباري الذي يحصله منهما يدرك أن العلاقة بينهما علاقة سببية، فالجملة الثانية بعد الفاصلة إنما جاءت لتوضح له سبب حصول الفعل في الأولى، فسرور الأم (أو غبطتها) المعبر عنه في الجملة البسيطة

الأولى بـــ "est contente" باعثه هو نجاح ابنها المعبر عنه في الجملة البسيطة التي تليها بـــ "a réussi".

إن ترتيب الجملتين على النحو الذي وردتا عليه في الجملة المركبة أفاد مالا يمكن أن يستفاد من التلفظ بأي منهما مفردة عن الأخرى وهو علاقة السببية بين الحدثين المعبر عنهما فيهما، فسرور الأم نتيجة أما نجاح الابن فهو السبب الذي أدى إليها، وبناء عليه يدرك المتلقي أن الحدثين مرتبطان ارتباط النتيجة بالسبب.

إن جملة المثال الثاني تشبه جملة المثال الأول من حيث البنية، فقد اشتملت هي الأخرى على جملتين بسيطتين بالمواصفات الشكلية التي وقفنا عندها آي من جهة رسم الحرف الذي افتتح جملة الصدر وعلامة الترقيم الفاصلة بينها وبين الجملة المجاورة لها. ثم النقطة في نهاية الجملة الثانية التي تكون معها جملة مركبة. وهنا أيضا نلاحظ أنه يمكن لأي من الجملتين أن تستقل بمضمونها الإخباري من دون أن يحس المتلقي بحاجة إلى إضافة أخرى لفهم المعنى الذي تقرره كلاهما، لكن مع ذلك فإن الأمر ليس سيان بين أن يخاطب بكل واحدة منهما على حده وبين أن يتلقاهما بوصفهما جملة واحدة. فهناك شيء جديد ظهر في هذه الحالة الثانية؛ فما يستشفه هو أن المتلفظ بها لا يقصد إلى نحص الإقرار بأن الطفل كان نائما، إنما هدف من خلال ذلك إلى تقديم سبب عدم سماع الطفل لأي شيء، فالغرض التواصلي في الجملة كلها هو هذا (أي الإقرار أن الطفل لم يسمع شيئا)، أما مضمون الجملة البسيطة الأولى فيقوم مقام الدليل على ما قررته الجملة البسيطة الثانية، ومن ثم يبدو جليا أن الحدثين المعبر عنهما في هاتين الجملتين المكونتين للجملة المركبة مرتبطان ارتباط السبب بالنتيجة خلافا لما رأيناه في المثال الأول الذي كان الغرض

التواصلي فيه الإخبار بحالة السرور التي توجد فيها الأم وهي النتيجة لما قدم على أنه سبب لهذه الحالة.

فالفرق بين الجملتين في المثالين من حيث العلاقة بين الحدثين المعبر عنهما في كليهما يمكن توضيحه على النحو الآتي:

الجملة الأولى: النتيجة (سرور الأم) ⟵ السبب (نجاح الابن)

الجملة الثانية: السبب (نوم الطفل) ⟵ النتيجة (عدم سماع أي شيء)

وإذا انتقلنا إلى المثال الثالث، فإننا نلاحظ –كما تقدمت الإشارة–أن الجملة الواقعة بعد الفاصلة في الجملة المركبة يحتاج متلقيها إلى العلم بشيء تقدم ذكره في الجملة الأولى. فالتلفظ بـــ "toi il t'a ennuyé" خارج السياق النصي أو المقامي من شأنه أن يدعو إلى التساؤل عن الأمر الذي أضجر المخاطب المعبر عنه بالضمير "toi"، أهو كائن حي أم جماد، إنسان أم حيوان؟ لأن السأم أو الضجر يمكن أن تتسبب فيه كل هذه الأمور، فلا يتوضح ذلك إلا بمعرفة مرجع الضمير العائد (l'anaphore) "il". وفرق بين مرجع "il" هنا وبينه في المثال الثاني الذي يساعد الفعل "entendu" على رفع اللبس عن نوع المرجع الذي يحيل عليه، على اعتبار أن الفاعل المناسب لهذا الفعل يكون إما إنسانا وإما حيوانا على الأقل. سوى إن هذه الملاحظة لا تخرج جملة مثالنا عن نمط الجملة المركبة التي تترابط عناصرها بالتجاور، لأن الارتباط بين الجملتين فيها ليس ارتباط تبعية بالمفهوم الذي يجعل إحدى الجملتين أساسية (phrase principale) والأخرى تابعة لها (subordonnée)، لأن اعتماد الضمير العائد في هذا السياق أملاه تجنب تكرار كلمة "livre" التي تفسره والواردة في الجملة الواقعة في صدر الجملة المركبة، لذلك يمكننا التلفظ بهذه الجملة مستقلة بعد تعويض الضمير العائد بمرجعه، فنقول:

(toi, ce livre t'a ennuyé)، معنى ذلك أننا في هذا المثال أيضا (المثال الثالث) إزاء جملة مركبة العلاقة بين عنصريها (أي بين الجملتين البسيطتين فيها) علاقة تجاور، وأن كل جملة فيها يمكن أن تستقل بمضمونها الإخباري كما هو بين، سوى إن اعتبارهما جملة واحدة على النحو الذي رأيناه في المثالين اللذين تقدما لا يعطينا مضمونا دلاليا هو مجرد محصلة جمع بين ما تقرره كل جملة من جملتيها على حده، إنما يمكن المتلقي من أن يقف على أمر لا يقف عليه في أي من الجملتين مستقلة. فهو يتوصل إلى أن العلاقة بين طرفي الجملة المركبة من الناحية الدلالية علاقة تعارض، فهو أمام موقفين متناقضين من الشيء نفسه، فالحدث في طرفها الأول يعبر عن الافتتان بالكتاب أما في طرفها الثاني فيعبر عن الضجر منه وهو ما يمكن أن يعبر عنه كما يلي:

ج ب1 (الجملة البسيطة 1) ≠ ج ب 2 (الجملة البسيطة 2)

إن الغرض التواصلي في الجملة المركبة التي تكونانها ليس الإخبار عن المعنى الذي تؤديه كل جملة، إنما هو إظهار علاقة التعارض بين الحدثين المعبر عنهما فيهما، وهو تعارض ترتبط به غايات تداولية يسعى المخاطب إلى تحقيقها من خلال خطابه.

في مثالنا الأخير نرى بوضوح أن الجملة المركبة ائتلفت فيها ثلاث جمل بسيطة تقوم العلاقة بينهما على التجاور، فبين كل اثنتين منها فاصلة. وقد توافرت فيها أيضا المواصفات الشكلية التي رأيناها في الجمل المركبة التي تقدمتها، بما في ذلك إمكان استقلال عناصرها (أي استقلال الجمل البسيطة المكونة لها). وخلافا لما رأيناه في الأمثلة الثلاثة الأولى فإن العلاقة بين الأحداث المعبر عنها داخل الجملة المركبة في هذه الحالة الرابعة لا تعدو أن تكون علاقة تجميع في صعيد واحد لأفعال أنجزها فاعلون مختلفون، فليست هناك أية علاقة –غير ما ذكرناه- بين ما يقوم به الأب وما تقوم به الأم وما يقوم به الطفل.

سوى إن الجمع بين الأحداث بهذه الكيفية في خطاب معين لا يمكن أن يخلو من مقاصد تبليغية يهدف إليها منشئه، وتتحدد هذه المقاصد من خلال السياق الذي تتنزل فيه الأحداث التي تبنى العلاقات فيما بينها بناء تجميعيا، وفي هذه الحالة لا تصبح وظيفة الجمل بما تحمله من معان وظيفة مرجعية صرف، إنما تغدو (أي هذه الجمل)، كأنها علامات داخل الشبكة الدالة المكونة لجموع النص4، وهذا ما نلاحظه خاصة في نصوص الوصف التي يكثر فيها اللجوء إلى هذا النوع من الجمل التي تقوم العلاقة بين عناصرها (أي بين جملها البسيطة) على التجميع.

وهناك ضرب آخر من التعالق بين العناصر المكونة للجملة المركبة في الفرنسية سنحاول التعرض إليه من خلال الأمثلة الآتية:

1- La directrice parle au téléphone et la secrétaire envoie un fax.
2- L'élève frappa à la porte et entra doucement.
3- La mer est très agitée et les bateaux risquent de faire naufrage.
4- Je sais qu'elle est sortie et qu'elle est chez la voisine.
5- Les enfants ne sont pas sortie, car il faisait trop froid dehors.
6- Je supporte le froid, mais je ne supporte pas la chaleur.
7- Le gardien m'a dit qu'il avait bien cherché, mais qu'il n'avait rien trouvé.
8- Tu réponds à ma question, ou tu seras exclu du groupe.
9- Elle a fini ses devoirs, donc elle regarda la télévision.
10- Il a raté son concours, pourtant il était studieux.

إن هذه النماذج من الأمثلة تقدم لنا نمطا ثانيا من أنماط الجملة المركبة في الفرنسية، والمسألة الأولى التي تلفت النظر فيها هي أن عناصرها (وهي جمل أيضا) تتعالق بوساطة أدوات تحقق الربط بينها، خلافا للنمط الذي تقدم الحديث عنه. ولابد من الإشارة هنا إلى أن الأمثلة المقترحة لا تستوعب جميع الأدوات التي يتوسل بها لنسج العلاقات بين الجمل

المكونة لهذا الصنف من الجمل المركبة، وأن أداة الربط قد تكون حرف عطف (conjonction de coordination) كما في الأمثلة التسعة الأولى، وقد تكون ظرفا (adverbe) كما في المثال العاشر.

أمر آخر يلوح لنا من خلالها أيضا وهو أن استقلال الجمل المؤتلفة داخل الجملة المركبة أمر غير متاح إلا في حالات معينة سنومئ إليها. وإذا تناولنا الأمثلة الثلاثة الأولى فإننا نرى أن العلاقة بين الجملتين الواقعتين بين طرفي هذا الرابط تؤدي كلاهما معنى مستقلا مكتفيا بنفسه. يصدق هذا حتى بالنسبة إلى الجملة الثانية في المثال الثاني بعد إظهار الفاعل المحذوف تجنبا لتكراره، على اعتبار أنه واحد في الجملتين المعطوفتين5، فإذا أبرزنا هذا الفاعل فإن الجملة تصبح: L'élève entra doucement أو il entra doucement!، على أساس أن "il" هنا ضمير عائد مرجعه هو الفاعل "élève" في الجملة المعطوف عليها. والربط الحاصل بين كل جملتين بوساطة أداة الربط "et" في أمثلتنا ليست وظيفته مجرد الجمع بين معنيين مستقلين، إنما يساعد على تأدية معنى آخر لا يظهر لنا إذا تلفظنا بكل جملة على حده، ففي المثال رقم 1، ليست الغاية محصورة فقط في الإخبار بما تقوم به المديرة وبما تقوم به أمينة سرها (الكاتبة)، إنما تتعدى ذلك إلى لفت النظر إلى تزامن الحدثين المعبر عنهما في الجملتين، فليس سواء من حيث الغرض التبليغي الذي ينوخاه المخاطب من خطابه أن يكون الحدثان قد تزامنا وأن يكونا قد وقعا في أوقات متعاقبة، فهو باختياره تقديم الحدثين على أنهما متزامنان فإنه يهدف إلى حمل مخاطبه على أن يؤسس على ذلك فهما معينا لما سيترتب عن هذا الاختيار، وتظهر أهمية ذلك في الأعمال السردية بصفة خاصة.

أما المثال الثاني فإنه يعطينا إحساسا بأن هدف المخاطب من عطف الجملتين غير ما رأيناه في المثال السابق؛ فبالإضافة إلى المضمون الإخباري لخطابه والذي من خلاله يعلم المخاطب أن حدثين قد وقعا في حيز زمني معين وهما طرق الباب والدخول، فإنه يدرك أيضا أن الحدثين لم يتزامنا إنما تعاقبا، فقد حدث الطرق أولا ثم اعقبه الدخول، فالعلاقة هنا إذًا بين الحدثين المعبر عنهما في هذه الجملة المركبة هي علاقة تعاقب وليست علاقة تزامن كما رأينا في التي قبلها. وهذا التعاقب هو الذي يحد من حرية التصرف في تقديم إحدى الجملتين على الأخرى داخل الجملة المركبة من دون إدخال تعديلات على التي كانت لها الصدارة، بحكم تقدم الحدث الذي تعبر عنه في الزمن، وهو ما لا نضطر إليه في حالة تواقت الحدثين.

أما الدلالة المضافة إلى المحتوى الإخباري للجملة في المثال رقم3،فإنها غير ما بيناه في الجملتين السابقتين، فالأمر فيها لا يتعلق بتزامن الحدثين ولا بتعاقبهما تعاقب تلاصق إنما يتعلق بارتباط الحدثين ارتباط سبب بنتيجة على وجه الاحتمال، وهو ما نعتقد أنه يمثل الغرض التواصلي أو المقصد التبليغي الرئيسي للمخاطب، فكون البحر هائجا (الجملة الأولى)، ليس مهما في ذاته إنما الغاية المتوخاة من تقريره هو الإخطار بما سيترتب عنه من نتائج خطرة. فما يركز عليه المخاطب في خطابه في هذه الحالة هو حالات غرق البواخر التي هي تبعة (conséquence) من تبعات هيجان البحر، وهو ما سينتبه إليه المخاطب الذي يدرك طبيعة العلاقة الرابطة بين الحدثين في الجملة. فلو اقتصر المخاطب على الطرف الأول من الجملة المركبة بأن يفصله فصلا كاملا عن تبعاته التي حددها طرفها الثاني لأمكن للمخاطب أن يستشف منه دلالات أخرى. فقد يفهم من مضمونه الإخباري أن القصد هو تحذيره من السباحة، أو حمله على تأجيل الموعد الذي ضرباه للذهاب إلى البحر

أو ثنيه عن الخروج إلى الصيد إن كان صيادا إلى ما هنالك من مقاصد تبليغية يصلح أن يكون المضمون الإخباري لهذا القسم من الجملة –في حال استقلاله– دليلا عليها، حسبما يقتضيه السياقان النصي والمقامي. أما اعتماد الربط بين الجملتين بوساطة أداة الربط "et" للحصول على جملة مركبة كتلك الواردة في مثالنا (المثال رقم 3)، فإنه يجعل المتلقي يهتم تحديدا بالعلاقة بين السبب وتبعاته من غير أن ينشغل بالبحث عن مقاصد أخرى سوى تلك التي تتكشف له من هذه العلاقة.

ما يلفت النظر في المثال الرابع هو أن الربط بين الجمل وقع بوساطة الأداة "et" أيضا سوى إن هذا الربط لم يقع بين جملتين من صنف الجمل التي تحدثنا عنها من قبل، فقد أشرنا إلى أن مكونات الجملة المركبة في الأمثلة التي تقدمت يمكن أن يستقل بعضها عن بعض مع تحقق إفادة يحسن السكوت عليها، وهو أمر لا يمكن أن يحصل لنا في المثال الذي نحن فيه، فالجملتان المعطوفتان فيه هما جملتان تابعتان لجملة أساسية (phrase principale) هي "je sais"، وهي جملة تحتاج إلى متمم أو متممات من دون أن تكون هي نفسها تابعة لأي منها6، وقد استكملت معناها بوساطة الجملتين التابعتين "quelle est sortie" و"qu'elle est chez la voisine" المعطوفتين بأداة العطف "et"، فالجملة المركبة في هذه الحالة جاءت مؤلفة من جملة أساسية ومن جملتين تابعتين (phrases subordonnées) معطوفتين تؤدي كلاهما الوظيفة التي يؤديها المفعول به (C.O.D) في جملته. فنحن إذا إزاء مستوى آخر من التركيب تحقق بالتبعية وبالعطف بين متممات الجملة الأساسية.

فإذا كان ممكنا من الناحية النحوية الاستغناء عن إحدى الجملتين التابعتين، فإن هذا الإسقاط تكون له آثاره في الحمولة الدلالية للجملة المركبة، فليس سواء الاكتفاء

بجملة تابعة واحدة والإتيان بجمل تابعة أخرى في الجملة المركبة معطوف بعضها على بعض، اعتبارا لما يصاحب عطف كل جملة تابعة على التي تقدمها من معان جديدة، فيتضافر الكل في توجيه المخاطب لاستشفاف دلالة الخطاب. أما في الجملة المركبة الخامسة في أمثلتنا، فإن ائتلاف عنصريها –وهما جملتان يمكن أن تستقل كل واحدة منهما بمعناها– حدث بوساطة أداة الربط "car" التي يدرك المتلقي من خلالها أن القصد التبليغي في الجملة ليس إعلامه بمكوث الأطفال في الموضع الذي هم فيه، إنما القصد هو إعلامه بسبب إبقائهم حيث هم، على اعتبار أن الأسباب يمكن أن تكون كثيرة وأنه لا يتاح له إدراكها من خلال المضمون الإخباري لجملة الصدر وحده. فتركيب الجملة على هذا النحو جعل النتيجة وهي "les enfants ne sont pas sortis" تتعلق بسبب واحد محدد وهو "il faisait trop froid dehors" المسبوقة بالربط "car" الذي جاء لبيان سبب الحدث الذي عبرت عنه الجملة التي تقدمته وحصره ليعلمه المخاطب. بهذه الكيفية يجد نفسه حيال داع واحد حال دون خروج الأطفال، فيبعد عن ذهنه كل الدواعي الأخرى التي قد تخطر على باله على سبيل الاحتمال في حال ورود الجملة التي نفت خروج الأطفال مفردة.

أما التركيب في مثالنا السادس فحصل بالعطف بين جملتين يمكن فك الارتباط بينهما بإسقاط أداة الربط "mais" من دون أن يحدث ذلك خللا في المضمون الإخباري الذي تؤديه كل واحدة منهما على حدة، سوى إن تشكيل جملة مركبة منهما بالاعتماد على أداة العطف "mais" يكشف للمخاطب ما لا يدركه إذا ما فك ما بينهما من نسق، وهو اجتماع صفتين متضادتين في المتحدث الذي يحيل عليه ضمير المتكلم المفرد "je"، معنى هذا أن العلاقة التي نسجها الرابط "mais" بين عنصري الجملة المركبة هي علاقة

تقابل أو تضاد (opposition)، فالغاية التي إليها يسعى المخاطب باعتماده في خطابه على جملة مركبة بنيت العلاقة بين طرفيها على التضاد هي إبراز أهلية معينة لدى المتحدث عنه، وهي في هذا السياق القدرة على احتمال البرودة دون الحرارة، ومن خلال ذلك يعمل على التأثير في متلقيه وتوجيه ذهنه وجهة معينة فيما يتعلق بموضوع حديثه، فهو بحمله على تصور معاناة المتحدث عنه إذا ما وجد في بيئة حارة وما يمكن أن يترتب عن وجوده في مثل هذا الوضع. من هذا المنطلق نرى ديكرو (Oswald Ducrot) يتحدث عن القيمة الاستدلالية والتداولية لأداة الربط هذه (أي mais) في النص7.

في الجملة التي تلت التي كنا فيها اعتمد التركيب على علاقة التبعية وعلى العطف بين عناصرها بـ "mais"، فهناك جملة أساسية (phrase principale) هي "Le gardien m'a dit" وجملتان متعلقتان بها تعلق تبعية وهما "qu'il avait bien cherché" و "qu'il n'a rien trouvé"، وقد وقع بينهما عطف بـ "mais". وكما بيناه في المثال الرابع فإن الجملة الأساسية هنا وإن كانت غير خاضعة لغيرها خضوع تبعية فإنها تحتاج إلى متمم، وهو ما جاءت الجملتان التابعتان لتحقيقه، فهما –كما ذكرنا فيما تقدم– تؤديان وظيفة المفعول به (C.O.D).

إن ما يعنينا أكثر في هذا السياق هو ما رافق الائتلاف الذي أحدثه الرابط "mais" بين الجملتين التابعتين من دلالة لا تظهر عند إسقاطه والاكتفاء بالجملة الأساسية مع جملة تابعة واحدة. فقد نسج العاطف "mais" علاقة عكسية بين الجملتين التابعتين المتممتين للجملة الأساسية في الجملة المركبة، فالبحث الجيد (الجملة التابعة 1) منتظر منه أن ينتهي بالعثور على الشيء المبحوث عنه، لكن مجيء "mais" بعد ذلك جعل النتيجة التي ستقررها الجملة التي ستليه (الجملة التابعة 2) مخالفة وغير متوافقة مع ما كان منتظرا

أن يفضي إليه البحث المستقصي عادة، معنى ذلك أن مضموني الجملتين التابعتين أدى الربط بينهما بـــ "mais" إلى ذهابهما في اتجاهين مختلفين. فما يستشفه المخاطب في مثل هذه الحالة هو خيبة الأمل الكبير التي ستسكن الذات المعنية بهذا البحث وهي غرض من الأغراض التي يكون المخاطب قد قصد تبليغها لمتلقيه، فبقدر قوة رجحان تحقق مضمون الجملة التابعة الأولى التي يدعمها الظرف "bien" بقدر ما أكدت الجملة التابعة الثانية ما ينقضه بالاعتماد على الضمير المبهم (pronom indéfini) "rien"، فالاعتماد على "mais" في تركيب الجملة كانت غايته في هذا السياق إيقاع خيبة التوقع في الذات المتلقية لدفعها إلى تعديل موقفها التعديل الذي تقتضيه الأغراض التبليغية المتوخاة من الخطاب، من ثم يتوضح أن القيمة التداولية لهذه الجملة المركبة لا تتوقف على المضمون الإخباري لكل جملة من الجمل المكونة لها على حدة، إنما تتوقف على الدلالة التي تستشف من مضامينها متضافرة تضافر تركيب لا تضافر تجاور، الأمر الذي يجعل المتلقي في مثل هذه الحال يشعر أن المسألة تتعلق بضياع أو باختفاء كلي وكامل للشيء المبحوث عنه، بمعنى، إن مواصلة تجربة البحث بالأسلوب نفسه أمر لا جدوى من ورائه.

وقد وقع في المثال رقم "8" تركيب بين جملتين بوساطة أداة الربط "ou" وهما جملتان مستقلتان في الأصل. لذلك يمكنهما أن تحتفظا بسلامتهما النحوية خارج إطار الجملة التي وردنا فيها، لكن مثلما لاحظنا فيما تقدم فإن الانتقال من البساطة إلى التركيب بالعطف بينهما سيرافقه ظهور علاقة خاصة بين مضمونيهما، فليس سواء التعامل معهما بوصفهما جملتين مستقلتين، واعتبارهما جملة واحدة بعطفهما عطف نسق بالأداة "ou". في هذه الحالة لا يصبح المهم في العملية التبليغية هو ما تقدمه كل جملة على انفراد من معنى، إنما هو علاقة الخيار التي برزت بينهما مع دخول الرابط "ou"، فقد سمحت

الجملة بالتركيب الذي ظهرت عليه للمخاطب من تخيير مخاطبه، (وهو هنا ضمير المخاطب المفرد "tu") بين أمرين (الجملة البسيطة 1)؛ ولكل منهما تبعته (الجملة البسيطة 2). وأول الأمرين هو الإجابة عن السؤال. وقد عبرت عنه الجملة تعبيرا صريحا. أما ثانيهما فيفهم ضمنا وهو الامتناع عن الإجابة، وجاء التعبير في الجملة الثانية عن تبعة الأمر الأول ضمنيا. وهو إبقاء المخاطب في المجموعة. أما تبعة الأمر المعبر عنه ضمنيا في الجملة الأولى فجاءت صريحة. وهو إقصاء المخاطب من المجموعة ويمكن أن نمثل لذلك بوساطة الترسيمة التالية:

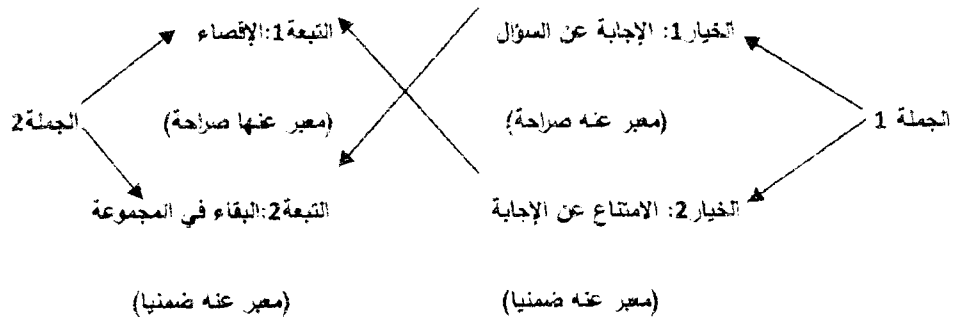

ما كان ممكنا للمخاطب أن يقف على هذين الخيارين وتبعتيهما خارج العطف الذي وقع بين الجملتين البسيطتين بوساطة الرابط "ou"، فمن خلال الجملة المركبة التي نتجت عن هذا العطف يشعر أن مخاطبه يمارس عليه ضربا من الضغط يتوقف مصير علاقته بالمجموعة على الخضوع له أو رفضه. وتركيب الجملة على النحو الذي وردت عليه يسمح للمتلقي بالإحساس ببداية توتر العلاقة بين هذين المتخاطبين، ويفتح أمامه المجال لتوقع إمكان تطور العلاقة بينهما في أحد الاتجاهين المتناقضين التاليين:

1-استمرار علاقة المُخَاطَب بالمجموعة (علاقة تبعية وخضوع).

2-انقطاع علاقة المخاطب بالمجموعة (تمرد وتحرر).

معنى ذلك أن اختيار مثل هذا التركيب في الخطابات إنما تمليه -كما أشرنا- مقاصد تبليغية وأهداف تداولية غايتها حمل المخاطب على الإقدام على ضروب من التصرف وألوان من السلوك، وهي أهداف قد يخطئها النص عندما يترجم إذا لم يهتد مترجمه إلى ما يجسدها في اللغة المنقولة إليها.

في الجملة المركبة رقم 9 في الأمثلة التي ندرسها وقع التأليف بين جملتين بسيطتين بوساطة أداة الربط "donc" التي أهلتهما لأن تؤديا مجتمعتين مقاصد تبليغية لا تؤدياها في حال اعتبارهما جملتين مستقلتين، فالتلفظ بكل واحدة منهما على حدة يترتب عنه تقرير حال أو واقع معين ليس إلا. أما عندما يقع التركيب بينهما بالأداة المذكورة، فإنهما تتعالقان تعالق سبب بنتيجة، فمشاهدة التلفزة نتيجة لإنهاء المتحدث عنها واجباتها. فهذه العلاقة هي الهدف الرئيس المقصود إبرازه في الجملة، ومن خلالها يفهم المتلقي ضمنا أن عدم توفر السبب الذي يعبر عنه الشطر الأول من الجملة المركبة يؤدي حتما إلى بطلان النتيجة التي تضمنها شطرها الثاني، وأنه من المنظور الزمني لا يمكن للنتيجة إلا أن تكون تالية للسبب الذي أدى إليها، فلا يمكن -بناء على ذلك- أن يخطر على بال المتلقي إمكان الوصول إلى "ب" (النتيجة) قبل المرور من "أ" (السبب)، من ثم تظهر أهمية الاعتماد في تركيب هذه الجملة على أداة الربط "donc" في تنبيهه إلى نوع العلاقة الناشئة بين الجملتين البسيطتين اللتين تألفت منهما الجملة المركبة. وهذه العلاقة هي التي تشعره بما بينهما من تضامن وتضافر في إنتاج الدلالة، على اعتبار أنهما تُكَوّنان معا وحدة واحدة.

في المثال الأخير من المجموعة التي نحن بصدد دراستها، تتكون الجملة المركبة من جملتين بسيطتين ائتلفتا بوساطة ظرف الربط (adverbe de liaison) "pourtant"،

ويظهر الفرق هنا واضحا بين المضمون الإخباري للجملتين البسيطتين في حال فك الرباط بينهما وبين ما ينتجه ائتلافهما في جملة مركبة من دلالة، ففي هذه الحالة الثانية يبدو أن إلحاح المخاطب كان على التعارض (opposition) الحاصل بين ما قررته الجملتان: فما عبر عنه القسم الثاني للجملة المركبة الواقع بعد الظرف "pourtant" لا يفسر مضمون قسمها الأول، إنما يقع معه على طرفي نقيض، فهما إذا غير متوافقتين عقليا، على اعتبار أن الجملة المعبرة عن الرسوب كان متوقعا في هذه الحالة أن تليها جملة يتلاءم مضمونها منطقيا مع ما عبرت عنه، لأن المثابرة والجدية يوافقها من الناحية العقلية التوفيق والنجاح لا الإخفاق والرسوب، وهنا يظهر عنصر المباغتة الذي صاحب التأليف بالظرف "pourtant" بين مضمونين متضادين عقليا من دون أن يؤثر ذلك على سلامة الجملة نحويا، وبذلك يكون ما قررته الجملة التالية للظرف الرابط مخيبا لتوقع المتلقي، لأنه بعد سماعه القسم الأول من الجملة المركبة سينهيأ لاستقبال الأسباب التي أدت إلى الإخفاق والتي يكون صرف ذهنه إليها، لأن ما قدمه له هذا الشطر الأول قد وضعه في سياقها، فإذا به يقابل بما لم يكن قد وقع في دائرة تفكيره حينئذ، فيسلمه ذلك للدهشة والاستغراب اللذين يكون المخاطب قد قصد إلى إيقاع مخاطبه فيهما، على هذا النحو تبدو لنا جليا العلاقة بين اختياراته في تركيب جملته وبين مقاصده التبليغية.

وفضلا عما وقفنا عنده فيما قدمناه من أصرب التأليف بين عناصرالجملة المركبة في الفرنسية، فإن هناك ضربا آخر من التركيب بين عناصرها نقترح جملة من الأمثلة للوقوف عليه واستشفاف أغراضه. وتجدر الإشارة سلفا إلى أن الشواهد التي سنوردها لا تستوعب جميع الأدوات التي تستخدمها اللغة الفرنسية لتنضيد العناصر في الجملة المركبة، والأمثلة التي ستشكل مدونة الدراسة في هذا السياق هي:

1- L'enseignant aime les élèves qui travaillent sérieusement.
2- Invite ceux dont tu m'avais parlé.
3- Cette femme, qui habite une hutte, est très coquette.
4- La villa, qui était bâtie sur ie remblai, ne résistera pas au séisme.
5- Mon fils m'a annoncé que les invités sont arrivés.
6- Je me bas pour que les tricheurs seront punis.
7- Ta fille a tellement changé qu'on ne la reconnaîtrait pas.
8- Le responsable est absent parce qu'il est en mission.
9- Salima est sympathique autant que son frère ne l'est.
10- L'avion décollerait quand bien même il venterait.
11- Tu sortiras s'il fait beau temps.
12- Mes parents reviendront quand j'aurai terminé le ménage.

هناك بطبيعة الحال أمثلة للأدوات التي يتوسل بها لإنشاء هذا النوع من الجملة المركبة وفق الأغراض التبليغية التي يتوخاها منشئ الكلام، والمحتوى أو المحتويات الدلالية التي يحمل متلقيه على استشفافها منه قصد إقناعه بأمر أو إحداث تأثير ما في نفسه حسب الغاية التي يكون قد رسمها لخطابه. فما أوردناه إنما نتغيَّا منه التمثيل لا الاستيعاب والحصر لنمط الجملة المركبة التي نحن بصددها.

إن الملاحظة التي تسترعي الانتباه فيما أثبتناه هي أن النماذج الأربعة الأولى منه يجمع بينها قاسم مشترك في الأسلوب المتبع في بناء الجملة المركبة: فكل جملة في المجموعة المشار إليها تتألف من جملة أساسية (phrase principale) ومن جملة تابعة يتصدرها ضمير موصول8 (pronom relatif) يربطها بمرجعه في الجملة الأساسية، لذلك فإن هذا الموصول بالإضافة إلى وظيفته النحوية في جملة صلة الموصول، فإن له مرجعا في الجملة الموصولة (أي في الجملة الأساسية) لا يفهم إلا من خلاله. وفي الفرنسية، غالبا ما تكون وظيفة المرجع في الجملة الأساسية مختلفة عن وظيفة الضمير الموصول (أي الاسم الموصول) الذي يمثله في الجملة التابعة9، كما هو بين في الجمل المركبة الأربع التي نتحدث عنها.

سوى إن القواسم المشتركة التي ألمحنا إليها لا تخصص هذه الجمل لغرض واحد: ففي المثالين 1، 2 كان هدف المخاطب من اختيار هذا الضرب من التأليف بين عناصر الجملة المركبة تعيين وتحديد المعنى في كلامه تحديدا حاسما، لذلك فإن فك الارتباط بين عنصريها يفضي إلى جمل إما غير محددة الدلالة أو غير مفهومة أصلا، فالاكتفاء بالقول "L'enseignant aime les élèves" على الرغم من سلامته من الناحية النحوية، فإنه يخل بغرض المتكلم الذي لا يقصد أن المعلم يحب التلاميذ جميعا. إنما يريد أنه يحب صنفا معينا منهم على وجه التحديد والحصر، فهو يخرج من دائرة اهتمامه من لا يعمل منهم بجدية. وما كان لهذا الحسم في المعنى الذي توخى تبليغه أن يتم من غير تركيب الجملة على ذلك النحو. أما الاكتفاء بالقول "invite ceux" فإنه فضلا عن عدم استقامة هذا الملفوظ نحويا، فإنه غير مفهوم، فهو مبهم الدلالة، فالمتلقي لا يدرك من خلاله مقصد أو مقاصد صاحبه. ولكن حين تنضد الجملة كما في المثال، فإن المخاطب يفهم المقصد التبليغي لمخاطبه، فيدرك أنه إنما يدعوه إلى استضافة فئة معينة من الناس حصرها في أولئك الذين كان المخاطب نفسه قد حدثه عنهم، وحينئذ لا ينصرف ذهنه إلى شيء آخر غير ما حددته الجملة. أما صلتا الموصول في هاتين الجملتين المركبتين، فإن التلفظ بهما مستقلتين عن جملتيهما الأساسيتين لا يفضي إلى معنى واضح يستطيع متلقيه أن يبني عليه فهما معينا من شأنه أن يترتب عنه موقف أو سلوك ما تجاه الخطاب الموجه إليه، معنى ذلك أن الغاية المتوخاة من الخطاب في المثالين مشروط تحققها ببنائهما البناء المناسب لبلوغ تلك الغاية.

وفي سياق هذا النوع من التركيب اعتمد في الجملتين المركبتين 3، 4 على الضمير الموصول في الحبك بين قسمي الجملة، ويتعلق الأمر هنا أيضا بجملة أساسية وجملة تابعة لها يتصدرها ضمير موضول هو "qui" مرجعه في الجملة الأساسية. لكن بشيء من

التدقيق يتكشف أن البناء في هاتين الجملتين مختلف عما رأيناه في سابقتيهما، فمن حيث توزيع العناصر في الجملة المركبة فإن الجملة التابعة تتوسط الجملة الأساسية وتقع بين فاصلتين (أو وقفين بسيطين عند الكلام) ومن حيث الدلالة فإن الدور الذي تؤديه الجملة التابعة في الجملة المركبة ليس أساسيا، فالتحديدات التي تقدمها بالنسبة إلى المعنى المعبر عنه في الجملة الأساسية تصنف في المكملات (précisions accessoires) قياسا إلى ما رأيناه في الجملتين اللتين تقدمتاهما، لذلك فإن حذفها ممكن من دون أن يلحق أي خلل نحوي بالجملة الأساسية، كما أن النقص الذي يلحق المعنى في هذه الحالة لا ينتهي به إلى الإحالة، ففي الجملة رقم 3 يصح القول: "Cette femme est coquette"، سوى إن ما استغنى عنه ليس عديم الفائدة من حيث الدلالة لأن الجملة "qui habite une hutte" لها وظيفة اعتراضية بالنسبة إلى ما دلت عليه الجملة الأساسية، فهي تفيد أن المرأة المتحدث عنها تسكن كوخا، أي أنها ضيقة الحال ومن مستوى اجتماعي متواضع، أما الجملة الأساسية فأفادت أنها امرأة ظريفة متأنقة، فالتعارض بَيِّنٌ بين مظهرها هذا وبين ضيق حالها كما يوحي به مسكنها، لذلك فإنه مع كون المعنى المرافق للجملة مركبة، معنى مكملاً بالنسبة إلى معنى الجملة الأساسية التي تكوِّن معها جملة مركبة فإن الاستغناء عنه تكون له آثاره في الدلالية التي يحصلها المتلقي من الخطاب. والأمر نفسه يمكن استخلاصه من معاينة قسمي الجملة المركبة الرابعة، فجملتها الأساسية يمكنها أن تستقل بنفسها نحوا ومعنى فتفيد حينئذ أن الفيلا لا تقاوم الزلزال، لكن الجملة التابعة المتضافرة معها في إنجاز دلالة موحدة، إذا أسقطت فإن ذلك تترتب عنه آثار دلالية بأن تحجب على المتلقي إدراك العلة (أي السبب) التي أدت إلى ما عبرت عنه الجملة الأساسية، فلا يفهم أن عدم مقاومة الفيلا الزلزال سببه أنها شيدت على ردم، وهو التحديد الذي قدمته الجملة التابعة، لذلك فإن فك الارتباط

بينها وبين الجملة التي تؤلف معها جملة مركبة يكون له تأثير لافت للنظر في المعنى أي في الغرض التبليغي الذي قصد إليه منشئ الخطاب.

في الجمل التي تلت التي وقفنا عندها يظهر نوع آخر من التعالق بين عناصر الجملة المركبة وإن بدا من الناحية الشكلية الخالصة-أحيانا- أن لا اختلاف بين نظام الجمل الواردة في المدونة كلها: ففي الجملة المركبة رقم5، هناك جملة أساسية وجملة تابعة تتصدرها أداة ربط، سوى إن هذا التشاكه في البناء ليس سوى تَشَاكُهٍ شكلي، لأن أداة الربط في هذه الحالة ليست ضميرا موصولا (pronom relatif)، إنما هي رابط نسق يحقق تبعية جملته (أي الجملة التي تفتتح به) للجملة الأساسية. ثم إن هذه الأداة لا تحتاج إلى مرجع مثل الضمير الموصول، ووظيفة جملتها (أي الجملة التابعة)، ليست تقديم تحديدات عن مرجع ما في الجملة الأساسية، إنما تقوم بإتمام الفعل في الجملة (الأساسية)، فمن دونها تبقى دلالته ناقصة كما يتبين من الاقتصار على الجملة الأساسية "mon fils m'a annoncé" فالمتلقي في هذه الحالة يكون في أمس الحاجة إلى جملة ترتبط بهذه ارتباط نسق وتبعية وتشكل معها جملة واحدة حتى يدرك إدراكا واضحا ما قصده مخاطبه، وهذا الارتباط الدلالي بين عنصري (أو عناصر) الجملة المركبة متوفر أيضا في الجملة المركبة رقم 6 في المدونة، فقد تم الالتحام بين قسميها عن طريق الصيغة الرابطة (locution conjonctive) " pour que" التي بالإضافة إلى إكمال جملتها معنى الفعل في الجملة الأساسية، فإنها أبانت عن الغاية التي من أجلها وقع الحدث الذي دل عليه الفعل، وبناء عليه أسهمت الصيغة الرابطة وجملتها في إتمام معنى الفعل، فتحدد للمتلقي القصد التبليغي من الحدث الذي عبر عنه به: فجملة "je me bas" وهي جملة أساسية

(phrase principale) تبقى ناقصة، بل لا تفيد شيئا محددا إلا بالجملة التي جاءت بعدها وارتبطت بها ارتباط تبعية بالصيغة الرابطة المذكورة.

وما يلفت النظر في الجملة المركبة التي تلت هذه من حيث البناء هو التداخل الذي وقع بين عناصرها، فالجملة الأساسية فيها هي "ta fille a ... changé" والجملة التابعة هي "on l'a reconnaît pas" أما الأداة التي حققت ائتلاف التبعية بينهما فهي "tellement..que" معنى ذلك أن رابط التبعية في هذه الحالة تكوَّن من الظرف "tellement"ومن رابط التبعية البسيط "que" المتعلق بهذا الظرف، ويظهر من هذا أنه وقع فصل "بـــ" "tellement" بين العنصرين المكونين للفعل في الجملة الأساسية "a...changé". ومن حيث الإفادة فإن الجملة الأساسية في هذا السياق يمكنها أن تؤدي معنى مستقلا، لإنه يصح القول "la fille a changé"، سوى إن معناها يبقى معنى عاما لا يحدد الشيء الذي حدث فيه التغيير، فهل غيرت سيرتها أم سيارتها أم ملامحها أم مسكنها...إلخ، فمراد المخاطب لا يتعين إلا من خلال الجملة التابعة التي ستوضح أن الأمر يتعلق بتغير وقع في ملامحها، (وقد يتعلق على وجه الاحتمال بالسلوك أيضا). والظرف "tellement" يؤكد مقدار التغير الحاصل فكاد يأتي على كل ملامحها السابقة، لذلك فإن الاعتماد في التركيب بين الجملتين على "tellement...que" كانت الغاية منه إبقاء صلة- وإن كانت ضعيفة- بين المظهر السابق للفتاة ومظهرها الحالي، وهي الصلة التي جعلت التعرف عليها ممكنا، لذلك لم يأت الفعل في الجملة التابعة بالصيغة التي تجعل عدم التعرف على المتحدث عنها متحققا، إنما جاء بصيغة قدمت ذلك على سبيل الاحتمال، وهو ما تَمْحَضُ الفرنسية للتعبير عنه صيغة الـــ "conditionnel"، و تستخدم العربية في مثل هذه الحالة "كاد" أو إحدى أخواتها للتعبير عن وشك تحقق الفعل. يستشف من هذا أن الجملة

التابعة التي تضافرت مع الجملة الأساسية في الإعراب عن المقصد التبليغي للمخاطب وإن أفصحت عن تبعات التغير الذي عبر عنه الفعل "a changé"، فإنها لم تعرض ذلك على سبيل القطع، إنما على سبيل الاحتمال وقرب الحدوث، لذلك كان الإعتماد في التأليف بين الجملتين داخل الجملة المركبة على "tellement...que" كما قدمنا.

وعندما وقع الائتلاف بين عنصري الجملة المركبة بصيغة الربط "parce que" --كما في الجملة الموالية للتي كنا بصددها- فإن هذه الصيغة أبانت عن نوع العلاقة القائمة بين الجملة الأساسية "Le responsable est absent" التي يمكنها --كما هو واضح- أن تستقل بنفسها مبنى ومعنى، وبين الجملة التابعة لها والتي يمكنها هي الأخرى الاستقلال بنفسها، إذ يصح نحوًا ومعنى القول " il est en mission"، لكن في حالة استقلالهما فإنهما لا تزيدان عن تقرير حالة أو حدث ما، أما في حالة اتساقهما بوساطة الصيغة المذكورة فإن الأمر سيتعلق بشيء آخر، إذ تصبح وظيفة الجملة الأساسية الإبانة عن تبعات الحدث المعبر عنه في الجملة التابعة، فالعلاقة بين الجملتين علاقة نتيجة بسبب، فالقصد التبليغي من بناء الجملة المركبة على هذا النحو هو رغبة المخاطب في الإفصاح لمخاطبه عن علة الغياب لا عن الغياب في ذاته.

ويقدم لنا النموذج رقم 9 في المدونة جملة مركبة سخرت للموازنة بين الحدثين المعبر عنهما في الجملتين الأساسية والتابعة اللتين ائتلفتا بوساطة الصيغة الرابطة « autant que » (locution conjonctive) ، ففي هذه الحالة فإن القصد التبليغي للمخاطب لا يتجه إلى إخبار المتلقي بحدث مفرد عبرت عنه إحدى الجملتين، إنما يتجه إلى إحاطته علما بالعلاقة بين الحدثين المعبر عنهما فيهما، فقد كان الاعتماد على « autant que » بالذات للإبانة بأن العلاقة بينهما هي علاقة مساواة، فغاية المخاطب

الإخبار أن المتحدث عنها (في الجملة الأساسية) تضارع أخاها (موضوع الحديث في الجملة التابعة) في ما تتصف به من ود وخفة روح، فالمعنى الذي تفصح عنه هذه الموازنة هو ما يهدف الخطاب إلى إبرازه ليتعلق به ذهن المخاطب، وهو معنى لا يمكن التماسُهُ بأي حال إلا من الائتلاف الحاصل بين الجملتين على النحو الذي ظهرت عليه الجملة المركبة.

وليس ممكنا أن يستشف القصد التبليغي الذي أراد المخاطب تبليغه إلى متلقيه في الجملة المركبة رقم **10** في المدونة إلا إذا نسجت العلاقة بين الجملتين الواردتين في سياقها بالصيغة الرابطة المناسبة وهي في هذا الموضع « quand bien même » التي تجعل من الحدث المعبر عنه في الجملة التابعة حدثا ممكن الوقوع على وجه الاحتمال، وتُبينُ في الوقت نفسه عن علاقة التقابل (أو التعارض) الموجودة بينه وبين الحدث في الجملة الأساسية، وهو ما يفسح المجال لإضفاء صفة التحدي على الموقف الذي يستخلصه المتلقي من الدلالة المتولدة من تعالق الجملتين في نسيج الجملة المركبة.

إن هذا الارتباط بين البناء الذي يختاره المخاطب –كاتبا كان أو متكلما– للجمل (الجمل المركبة في حالتنا) المتسقة في خطابه وبين مقاصده التبليغية تؤكده مرة أخرى الجملة ما قبل الأخيرة في مدونتنا والتي يتضمن كل جزء من جزئيها مضمونا إعلاميا معينا، فقسمها الأول إذا ما تلفظ به خارج إطار الجملة المركبة فإنه يفيد أن مُخَاطِبًا يعد مُخَاطَبًا بالخروج. أما قسمها الثاني –بعد إسقاط « si » التي تربطه بالذي سبقه ربط تبعية– فيقدم انطباعا عن الطقس الخارجي. لكن التركيب بينهما برابط التبعية « si » يجعل اهتمام المتلقي مركزا لا على المحتوى الإعلامي للقسمين، إنما على الشرط الذي يستوجبه تحقق الحدث الذي يدل عليه الفعل في الجملة الأساسية. من خلال ذلك يدرك (أي المتلقي) أن خروجه أو عدمه مشرطان بأحوال الطقس، وعليه يغدو تحول

الفعل إلى حدث منجز بعد زمن التلفظ قائما لا على اليقين إنما على الاحتمال والظن، معنى ذلك أنه من حيث الأثر النفسي للمعنى المستشف من هذا الخطاب، ستَتَجاذَبُ المخاطب حالتان شعوريتان يتنابه خلالهما الشك واليقين في أمر تحقق الخروج، ما دام لا يملك العلم الحق بما ستؤول إليه الأحوال.

أما في الجملة الأخيرة في المدونة فإنه بفضل التأليف الذي حدث بين الجملة الأساسية والجملة التابعة عن طريق رابط التبعية « quand »، أضحى واضحا أن الحدث الدال عليه الفعل في القسم الأول من الجملة المركبة يستحيل حصوله قبل تحقق فعل القسم الثاني؛ فمن حيث المسار الزمني للأحداث، لا ينتظر عودة الأهل قبل أن يكون المتلفظ قد فرغ من شغل البيت، فلا يخطر على بال المخاطب المعني بهذه العودة أن يتوقع لقاء هؤلاء الغائبين في المقام التواصلي الذي يجمعه بالمتكلم قبل أن يراه قد انتهى من تدبير شؤون البيت وترتيبه، فهو لا يعلم على وجه التحديد لحظة وصولهم، لأن المضمون الإخباري للجملة لا يوفر له المعلومات الدقيقية المتعلقة بتلك اللحظة، الأمر الذي يجعل انتظاره انتظارا شبه مفتوح لتعلقه بمؤشر عام، ولذلك آثاره النفسية في ذات المُخَاطَب تتعين من خلال الأهمية التي يعقدها لعودة الأهل. وهذه الآثار المتعلقة بما يستشف من الخطاب من دلالات ليست خارجة عن المقاصد التبليغية لمنشئه.

إن المدونات الثلاث التي توقفنا عندها والتي قلنا إنها لا تستوعب جميع مظاهر تركيب الجملة في اللغة الفرنسية بينت أن الائتلاف بين عناصر الجملة المركبة في هذه اللغة سواء أتم بواسطة حروف العطف (les conjonctions de coordination) أم بوساطة ظروف الربط أو الوصل (les adverbes de liaison) أم عن طريق الصيغ الرابطة (les iocutions conjonctives) أم عن طريق الضمائر الموصولة

(les pronoms relatifs)، فإنه (أي هذا الائتلاف) تمليه ضرورة التواصل وأن التنويع فيه أعني في بناء الجملة المركبة يكون رهنا بالمقاصد التبليغية لمنشء الخطاب (سواء أكان كاتبا أم متكلما) وبالاستجابة التي يتوخى أن يحدثها خطابه في المتلقين سواء أكانت العلاقة بين أقطاب التواصل مباشرة أم غير مباشرة، بمعنى إن نمط تركيب الجملة لا يتم كيفما اتفق إنما يخضع لمقتضيات التداول التي ترعى بين ما تراد السياقين النصي والمقامي وجملة الظروف الحافة بعملية التواصل وهذه الشروط لا تخص اللغة الفرنسية وحدها وإنما تقتضيها عملية التواصل في جميع اللغات.

الهوامش:

1-فيما يخص وظائف الظروف في الفرنسية ينظر:

Marie-Hélène Christensen, et autres sous la direction d'Alain Bentolila, Le robert et Nathan, Grammaire, Paris, 1995, p 63.

2- J. Dubois et R. Lagane, La nouvelle grammaire du Français, paris, Larousse, 1975, p.177.

3-راجع مثلاً:

-Marie-Hélène Christensen et autres op cit, p.204

-M. Arrivé et autres, la grammaire d'aujourd'hui, paris, flammarion 1986, p.126.

4-راجع:

Marie-Annik Gervais -- Zaninger, la description, collection « Ancrages », ouvrage publié sous la direction d'Anne Marie Garagnon et Romain Lancay – Javal, paris, hachette, 2001, p.62.

5-حذف الفاعل في مثل هذه الحالة جائز، كما يجوز حذف الفعل إذا كان واحدًا في الجملتين، راجع:

J- Dubois et R. Lagane, op, cit, p.179

6-عن مفهوم الجملة الأساسية والجملة التابعة راجع:

M. arrivé et autres, op, cit, pp.567 et 640, Marie- Hélène Christensen et autres, op, cit, p.270.

7-راجع:

Oswald Ducrot, analyses programatiques, in, communication n° 32, 1980, p.11 et suivantes

8-الضمير الموصول في الفرنسية يمثله الإسم الموصول في العربية

9- راجع في هذا الموضوع:

Marie- Hélène Christensen et autres, op, cit, p.226.

المراجـــــع:

1- Annik (Marie), Zaninger (Gervais), la description, (sous la direction d'Anne Marie Garagnon et Romain Lancray-Javal), Paris, hachette, 2001.
2- Armengaud (Françoise), la pragmatique, collection « Que sais-je ?, 4ème édition, Paris, PUF 1999.
3- Arrivé (Michel), Gadet (François), Galmiche (Michel), La grammaire d'aujourd'hui, guide méthodique de linguistique française, Paris, Flammarion 1986.
4- Bavencoff (M.J), La grammaire française, Paris, Nathan, 1998.
5- Baylon (Christian), Mignot (Xavier), La communication, 2ème édition, Paris, Nathan, 1999.
6- Baylon (Christian), Mignot (Xavier), Sémantique du langage, Paris, Nathan, 1995.
7- Cervoni (Jean), L'énonciation, 2ème édition, Paris, PUF, 1992.
8- Christensen (Marie-Hélène) et autres, sous la direction d'Alain bentolila, Le Robert et Nathan, grammaire, Paris, Nathan, 1995.
9- Dubois (Jean), LAGANE (René), La nouvelle grammaire du français, Paris, Larousse, 1975.

10- Ducrot (Oswald), analyse pragmatique, in communication n° 32, paris, le seuil 1980.
11- Gouvard (Michel), la pragmatique, outils pour l'analyse littéraire, collection Cursus, série lettres Paris, Armand Colin, 1998.
12- Maingueneau (Dominique), L'Enonciation en linguistique Française, nouvelle édition, paris Hachette, 1999.
13- Perret (Michèle), l'Enonciation en grammaire du texte, Paris, Nathan, 1994.
14- Vion (Robert), La Communication verbale, analyse des interactions, Paris, Hachette, 1992.